البصرة في مصادر تاريخ عمان المصنفات الفقهية والتاريخية وكتب السير العمانية انموذجا

الدكتـور
علي بن حسن اللواتي
سلطنة عمان - وزارة التعليم العالي
كلية العلوم التطبيقية بصحار

الملخص

تحاول الورقة ان ترصد المادة التاريخية التي تتناول الإشارات الحضارية لمدينة البصرة من النواحي الإجتماعية والاقتصادية والعلمية و الفكرية والعلاقات التي ربطت بلاد عُمان بالعراق عموما وبالبصرة على وجه الخصوص والمؤثرات الحضارية المتبادلة بين المجتمعين العُماني والعراقي وبالأخص البصري، مع العناية بالمصادر الفقهية العُمانية على وجه الخصوص حيث ان المنهج الذي يوظف العلوم المساندة وبالتحديد التاريخ منهج مفيد ويسد ثغرة في البحث التاريخي، هذا فضلا عن أن المادة قد تكون جديدة نسبيا، وسيتناول الباحث عرض نماذج من مصادر التاريخ العُماني مع عناية بالمدونات الفقهية لغزارة تأليف العُمانيين لها عبر عصور التاريخ الإسلامي المختلفة، ثم سيركز البحث على تفاصيل تلكم الإشارات التي تناثرت في المصادر ذات العلاقة في مختلف الجوانب والتي عكست نمط هذه العلاقات التاريخية لها ومحاولة لسبر اغوار وأوجه ذلك التواصل الحضاري الذي تعكسه

(العدد الخاص بالمؤتمر العلمي الرابع لكلية الآداب لسنة ٢٠١٢)

الشواهد التاريخية التي احتفظت المصادر التاريخية والمساعدة لها بنماذج من ذلك، تلخصها الخاتمة التي تلي الورقة وتجمل ما أنتهت إليه الورقة من نتائج.

مقدمــة :

تحاول الورقة تقديم نحو من الاستفادة من بعض مصادر العلوم المساعدة لإكمال النقص في المعلومات التاريخية الاصلية التي ترسم صورة العلاقة بين بلاد عمان والبصرة وتقدم إشارات مهمة لجوانب متعددة من تاريخ البصرة الحضاري،وتلكم المحاولة تهدف لعرض نماذج وشواهد تطبيقية لما ورد في تلكم المصنفات بما يحقق الغرض من عرض معلومات قد انفردت بها بعض تلك المصادر، وسيكون تناول تعريف موجز لبعض مصادر تاريخ عمان استهلالا لدراسة جذور العلاقة بين عمان والبصرة والعوامل والخلفيات التي ساعدت على توثيق هذه العلائق وتطويرها،ثم دراسة الجوانب الا جتماعية والصلات الاقتصادية.

التعريف بمصادر تاريخ عمان

تاريخ عمان جزء من تاريخ شبه الجزيرة العربية والأمة الاسلامية ولظروف عديدة ليس هذا مورد سردها ومناقشتها فقد كان ما وصلنا من الانتاج العلمي التاريخي العماني متواضعا اذا ما قيس بالتاليف في ميادين اخرى من المعرفة، ولذلك سنقف عند نموذجين وثيقي الصلة بتاريخ عمان وعلاقاتها الحضارية بالعديد من الأقاليم ومنها البصرة الا وهما: المصنفات الفقهية والسير العمانية.

اولا- المصنفات الفقهية:

اتجه العمانيون للتأليف الموسوعي في المدونات الفقهية منذ القرن الاول الهجري وبعض نتاجهم ذلك لايزال مفقودا ، ومنها الموسوعة الشهيرة " الديوان" التي من المؤكد ان الامام جابر* الفها في مدينة البصرة، وكانت تقدر أجزاؤها بحمل بعير،

وهذا ليس بمبالغة اذا ماعلمنا انه لدينا في الفقه الاسلامي مدونات ينيف عدد اجزائها على التسعين، الا ان مقدارا غير قليل من هذه المؤلفات قد حفظ من الضياع وشكل مصدرا للمعلومات في الجوانب الفقهية والعقائدية والتاريخية، ومن امثلة ذلك:

الكتاب	المؤلف	الحقبة	عدد اجزائه
الديوان	جابر بن زيد	القرن الاول	حمل بعير
بيان الشرع	محمدالكندي	القرن السادس	٧١
المصنف	احمد الكندي	القرن السادس	٤٢
قاموس الشريعة	جميل السعدي	القرن١٣ هـ	٩٢

* الامام جابر بن زيد الأزدي اليحمدي الجوفي العماني ، كان مولده في فرق من اعمال عمان

يقول فيه ابن عباس: لو ان اهل البصرة نزلوا عند قول جابر بن زيد لأوسعهم علما عما قي كتاب الله وكان يبادر اهل البصرة بقوله كيف تسألوني وفيكم جابر، ويحدث اياس بن معاوية قاضي البصرة في زمن عمر بن عبد العزيز ادركت اهل البصرة ومفتيهم جابر بن زيد من اهل عمان توفي سنة ٩٣هـ انظر(نور الدين السالمي : تحفة الأعيان بسيرة اهل عمان،الناشر اسرة المؤلف،د.م.ت،ج١ ص٨٦،سامي صقر:الامام جابر بن زيد الازدي،مطابع النهضة،٢٠٠٠،ص٧١ فما بعد)) .

نموذج تطبيقي لإشارات ذات طابع تاريخي في مصدر فقهي:

اجتمع بعض العلماء عند الامام غسان فسألهم عمن يقدم من بلاد الهند بتجارة كيف آخذ منه الزكاة، فقالو اذا وصل لعمان وباع متاعه فخذ منه الزكاة من حينه وان لم يبع حتى حال عليه الحول يقيم متاعه كما يباع ثم خذ منه الزكاة سنة واحدة واما من

يقدم من البصرة وسيراف بمتاع فلا يؤخذ منه الزكاة حتى يحول عليه الحول. (السالمي : تحفة الأعيان ج١ ص ١٣٠) .

السير العمانية :

وهي عبارة عن رسائل كان يتبادلها العلماء والائمة والسياسيون في عمان وخارجها، وكانت هذه تبين بعض مواقفهم من القضايا الدينية والفكرية والسياسية، وهي رسائل مهمة معاصرة ضبطت بعض الأحداث وامدتنا بمعلومات ذات قيمة عن الجوانب الحضارية، خاصة ما يخص الاستشهاد بالشخصيات وحملة العلم من البصرة الى عمان او مواقف العلماء المعاصرين من بعض القضايا والشخصيات، وجزء غير قليل من هذه السير لا يزال مخطوطا، وقد طبعت وزارة التراث العمانية قبل عدة عقود نزرا يسيرا منها في مجلدين حملا عنوان السير والجوابات لعلماء وائمة عمان، قامت بتحقيقهما ا.د سيدة اسماعيل كاشف.

جذور العلاقة بين العراق وعمان:

تشير الكتابات السومرية التي تعود لما يربو على ٣٠٠٠ ق.م لمدينة او بلاد ماجان التي تعني جبل النحاس او القوم الذين يركبون البحر، كما تتناول المصادر اليونانية الحديث عن ميناء عمانة، والذي يرجح انه يشير الى عمان التي كانت معروفة آنذاك لدى الرحالة والتجار اليونان.

ومن المؤكد ان هذا الموقع الاستراتيجي المتوسط للعالم القديم جعل هذه المنطقة ملتقى لتيارات حضارية مرتبطة بالهند وحوض نهر السند وسومر وبابل وحوض نهري دجلة والفرات ومصر وحوض نهر النيل وبلاد فارس (سعيد عاشور وعوض خليفات: عمان والحضارة الاسلامية، جامغة السلطان قابوس، مسقط، ٢٠٠٤م، ص ١١-١٣).

العوامل التي ساعدت على توثيق العلاقة بين البصرة وعمان:

اولا - البعد الاجتماعي

لما كانت القبائل العربية القحطانية والعدنانية في طليعة الفاتحين الذين استقر العديد منهم في العراقين البصرة والكوفة إبان حقبة الفتوحات الاسلامية وما بعدها، وهذا ما يلحظ في التشابه في اسماء القبائل الموجودة في جنوب العراق والقبائل العمانية،وبخاصة القبائل القحطانية وفي طليعتها الأزد،ولعل ابرز امثلة وشواهد ذلك الادوار التي لعبتها اسرة آل المهلب وكذلك كان للقبائل العدنانية التي كان منها اسرة آل الرحيل وبعض الاعلام الذين حملو العلم من البصرة الى عمان، وبذلك يفسر بعض عوامل إنتشار المذهب الاباضي وامتداده الى عمان، مع استمرارية التواصل الاجتماعي والمصاهرة والهجرات والزيارات المتبادلة بين الاقليمين، ولذلك تشير المصادر العمانية انه كانت للعمانيين محلة تعرف بدرب الجوف بالبصرة (العوتبي: الأنساب وزارة التراث،ط٣،مسقط ،١٩٩٣م،ج٢ ص١٢٤-١٢٥|).

ثانيا: البعد الاقتصادي

من المعروف ان عمان لعبت خلال العصور الاسلامية دور الوسيط التجاري بحكم موقعها على خط التجارة الممتد من الصين والهند وشرق افريقيا مرورا بمنطقة الخليج وبلاد فارس ولذلك وصفها المقدسي في كتابه احست التقاسيم في معرفة الأقاليم؛ بانها دهليز الصين وخزانة الشرق والعراق ومغوثة اليمن(محمد بن احمد المقدسي: احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم،ط بريل –ليدن،١٩٠٦،ص٩٢) ، كما ان البصرة شكلت المنفذ الذي يستقبل التجارة القادمة بحرا من عمان الى العراق، ولذلك عرف الليمون العماني بلومي البصرة – اذ كان يوزع من البصرة الى انحاء العراق، الذي زرع فيما بعد بالبصرة بعد ان جلب العمانيون شتلاته من الهند وكانت

الموانئ العمانية تصدر حتى اواخر العقد السابع من القرن الماضي كميات كبيرة منه الى اسواق البصرة.

ثالثا :البعد السياسي

اختار بعض الخلفاء -عبر حقب مختلفة من التاريخ الاسلامي ونظرا لأهمية موقع عمان ولمحاولة ضرب الاستقلال السياسي التي كانت تنعم هذه البلاد منذ العهد النبوي- ان يجعلها خاضعة لعاصمة الخلافة، فقد حاول الحاقها بولاية البصرة نظرا للقرب الجغرافي وسهولة الوصول بحرا الى المنطقتين.

رابعا: البعد الفكري

ساعد انتقال العلماء وطلبة العلم الى جانب التجار على انتقال الافكار والآراء العقدية فيما بين البصرة وعمان، فكانت عدد من الآراء المرتبطة بحرية الإرادة وخلق القرآن(٠السير والجوابات –سيرة ابن بركةج٢ص٣٨٤هامش١) هذا فضلا عن انتقال مبادئ الاباضية والتشيع من البصرة والكوفة الى عمان.

الجوانب الاجتماعية :

تذكر كتب السير العمانية اسماء الشخصيات والأسر العلمية التي تنقلت بين عمان والبصرة واغنت الحركة الفكرية بأعلامها، فآل الرحيل على سبيل المثال نموذج لهذه الاسر، يمكن ان يضاف الى اسرة آل المهلب التي اشتهرت ادوارها في البصرة، وهي تعود في جذورها الى القبائل العدنانية بالبصرة، ويرجع نسب آل الرحيل الى جدهم ابي سفيان محبوب بن الرحيل بن سيف بن هبيرة القرشي المخزومي الذي كان ربيبا للامام الربيع بن حبيب الذي توفي حوالي سنة ٢٠٧هـ بالبصرة وتروي بعض الأخبار ان لمحبوب هذا قراءة يذكرها قومنا ، وذريته امتدت في عديد من ابنائه اشهرهم محمد وكان عالما انجب من الابناء اشهرهم ابنيه

بشير وعبدالله ولا زال احفاد هذه الاسرة يقيمون في صحار من عمان(ابوسعيد الكدمي:الاستقامة،وزارة التراث،مسقط،١٩٨٥،ج١ص٢١٩، السالمي،تحفة الاعيان، ج١ص٢٧٥،سعيد العيسائي: صحار ودورها الثقافي، ندوة صحار عبر التاريخ، المنتدى الادبي،ط١-٢٠٠٠، مسقط،٥٦-٥٧) ومما تجدر الاشارة اليه هنا ان علماء هذه الاسرة ورجالاتها تركوا آثارا مهمة في الحياة الفكرية والثقافية بل والسياسية بعمان بعد هجرة جدهم محبوب من البصرة الى عمان، بل كان من بينهم من تقلد منصب الامامة وهو سعيد بن عبدالله بن محمد بن محبوب(علي اللواتي: تاريخ عمان الحضاري، جامعة السلطان قابوس، ط١،مسقط،٢٠١١، ص٤٠).

ولعل من الشواهد التي تؤكد استمرار التواصل الاجتماعي بين عمان والبصرة في الحقب التالية ما ورد في فصل الوصية من كتاب المصنف للكندي ت (٥٥٧ هـ) في رجل من اهل صحار يدعى معمر اوصي بأن يقوم احد وصفائه ويدعى فرج الهندي بإعادة زوجته البصرية الى اهلها في البصرة (الكندي : المصنف ج٢٧-٢ص٤٥).

الجوانب الاقتصادية والصلات التجارية:

ان وجود مناطق ضحلة في مياه الخليج قد ترتطم بها السفن الكبيرة العابرة للبصرة ساعد على نشاط الحركة التجارية بعمان حيث يصلح مرساها المفتوح والاعمق لرسو السفن كبيرة الحجم، ذلك ما جعل الحاجة ماسة الى وضع ما يعرف بالخشبات " وخشبات البصرة، سميت بذلك لأنها علامات من خشب منصوبة في البحر للمراكب الى عمان"ابوعبيد البكري: المسالك والممالك،تحقيق ادريان وزميله، الدار العربية للكتاب، قرطاج-تونس، ج١ ص١٩٩) وكانت البصرة احد مسارين بحريين للحجاج العمانيين لوعورة وخطورة الطريق البري الى مكة،وتحدثنا مصادر الفقه العمانية الى وجود بعض التجار البصريين في الأسواق العمانية (الكندي: المصنف،ج٢٠ ص٢١٩) وان بعضهم كان يتزوج ويقيم حتى وفاته بعمان(المصدر

نفسه:ج٣٥ ص١٣٧) كما تحدثنا المصادر البلدانية الى وجود شراكة في تجارة التموين والمواد الغذائية للعديد من المناطق كبغداد وسواحل بلاد فارس، حيث اورد المؤرخ اليعقوبي في احد مصنفاته" وتأتيها – بغداد- الميرة من .....وعمان" البلدان،بهامش الاعلاق النفيسة،ط ليدن-بريل١٨٩١، ص٢٣٧، كما اشار ابن بطوطة لطعام سكان الساحل الشرقي للخليج بقوله" وطعامهم السمك والتمر المجلوب لهم من من البصرة وعمان ويقولون بلسانهم.... التمر والسمك طعام الملوك ابن بطوطة: الرحلة،دار صادر،بيروت،١٩٦٤م، ص٢٧٣.

كما تورد المصادر إشارات الى تجارة الاحجار الكريمة والهدايا النفيسة والطيوب ونوادر السلع التي عني بها اهل عمان، فقد ورد على لسان احد حكام عمان ويدعى يوسف ابن وجيه* الذي كان له وكلاء في مناطق عديدة ومنها سرنديب " والجواهر يصل الينا اولا ثم يتفرق من عندنا الى البلاد " التنوخي: نشوار المحاضرة واخبار المذاكرة، تحق عبود الشالجي، دارصادر ،بيروت،١٩٨٣م،ج ١٦٣/٨)(*"اخوال بني سامة الذين اقرهم العباسيون على عمان بعد حملة ابن نور حاكم البحرين الذي سيطر على عمان، وحكم الساميون فيما بين ٢٨٠هـ حتى ٣١٧هـ، وجيه كان تاجرا في الجواهر وتزوج اخت الوالي احمد بن هلال، وتولى يوسف بن وجيه الحكم بعد ذلك فيمابين٣١٧-٣٢٨هـ(اللواتي: تاريخ عمان الحضاري ،ص ٣٤)".

ويصلح شاهدا على ذلك ما وردت الإشارة اليه في احداث سنة ٣٠٥هـ حيث انفذ احمد بن هلال صاحب عمان هدية ثمينة الى المقتدر وفيها من الكافور الرياحي عشرة امناء ومن العود المرتفع القماري عشرة امناء، رماح، وطيور مختلفة ببغاء صيني وطير وصف بأنه لم يجلب الى ناحية العرب مثله وبط من ناحية الصين اسود بعرفين وظبيان من الظباء السود بعث حيوان غريب مشدودا بسلسلة وموضوعا في قفص الى المقتدر وارفق انواع مختلفة من الطيوب وخاصة الصبر (بزرك

الرامهرمزي: عجائب الهند بره بحره جزايره،دار صادر د.ت،نسخة مصورة عن طبعة ليدن١٨٨٦،ص ١٥،٦٥).

وتحدثنا كتب المصادر والسير العمانية تغلب سلطان الجور على عمان بعد حروب بن بور(السالمي: تحفة الأعيان بسيرة اهل عمان، ج١ ص٢٦٣)، وهي تشير بذلك الى حكم احد التجار الآثرياء فقد ورد انه عقب انتهاء حكم اسرة بني وجيه نصب اهل عمان احد اثرياء التجار حاكما على عمان ويدعى النوكاني، التنوخي يذكر انه كان يملك الكثير من الضياع والعقار في البصرة وعمان.

كما ان تجارة المغروسات والمزروعات والأشجار مما اشتغل به العمانيون والبصريون وكان للقاهر في بعض الصحون بستان نحو من جريب قد غرس فيه النارنج، وقد حمل اليه من البصرة وعمان مما حمل من ارض الهند وقد اشتبكت اشجاره كالنجوم من احمر واصفر وبين ذلك انواع الغروس والرياحين والزهر وقد جعل مع ذلك في الصحن انواع الأطيار من من القماري والدباسي والشحارير والببغاء مما قد جلب من الممالك والامصار" المسعودي: مروج الذهب ،دار الاندلس،ط٢،بيروت،١٩٧٣م،٢٤٣/٤) .

الخاتمــة :

لقد ادت عوامل مختلفة الى توثيق العلاقة بين الاقليمين المقصودين بالدراسة، وكانت تجليات ذلك في إشارات عديدة جاءت في المصادر المشار اليها بعضها اجتماعي بالتصاهر والهجرة والاقامة في كلا البلدين، مع شراكة في الادوار التجارية وتبادل الارباح والاستثمار العقاري والتركيز على تجارة المواد الغذائية علاوة على نوادر السلع والطيوب والشتلات الزراعية.

التوصيات:

ضرورة تأسيس اطر تؤسس وتبني شراكة تكاملية بين مختلف دول المنطقة تنطلق من هذا التاريخ ، ومن ذلك اقتراح مركز للدراسات المقارنة بين الاديان والمذاهب الفكرية والاسلامية تحتضنه جامعة البصرة.

التعاون بين مراكز البحث والجامعات في تتبع ما فقد من وثائق او اخبار تاريخية توثق صفحات من تاريخ هذه المدينة العريقة وادوارها وعلاقاتها بباقي حواضر العالم الاسلامي.

تسمية بعض الشوارع او الاحياء او الميادين وحتى مباني بعض الجامعات في البصرة باسماء تلكم الشخصيات التي عاشت على هذه الارض واثرت التجربة الفكرية والعلماء الذين حملو العلم الى حواضر العالم الاسلامي بما يعكس استثمار هذه المدينة في الادمغة والعقول، لتعريف اجيال الامة بهؤلاء العظماء.

ضرورة تبني المراكز البحثية التأسيس لثقافة تاريخية تقوم على الايجابية التي تؤسس للتعايش ولا تعيش على ثقافة تكريس ماض وتاريخ الصراعات والعداء بين مختلف شعوب المنطقة لتنعم وتبشر المنطقة بمستقبل افضل لأجيالها.